المحاضرة التاسعة

قصيدة النثر

تمهيد: سارت القصيدة العربية المعاصرة بخطى متسارعة إذ انتقلت من القصيدة العمودية إلى، قصيدة التفعيلة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ولم تلبث على هذا الشكل إلا قليلا. فقد ظهر نوع جديد من الشعر، جاء استجابة للحداثة العربية، إذ ظهرت على المستوى النظري اتجاهات متباينة إيديولوجيا حاولت الدفاع عن مبادئها وأسسها، وقد عبرت تلك الاتجاهات عن نفسها على الصعيد الشعري بأشكال مستحدثة ومقتبسة من الغرب، فكانت قصيدة النثر إحدى نتائج حركة الحداثة الشعرية.

وعليه فإننا في هذه المحاضرة سنحاول الوقوف على النقاط الآتية: المفهوم - النشأة - الخصائص - قراءة في بعض النماذج.

1/ مفهوم ونشأة قصيدة النثر:

ظهرت قصيدة النثر في البداية في أوربا، فهي فرنسية المنشأ والميلاد فمعناها بالفرنسية Poeme en Prose ظهرت في أواخر القرن الماضي بفرنسا وبالضبط عند الشاعر الفرنسي بودلير* وقد احتلت هذه القصيدة في أدب فرنسا مكانها الطبيعي حيث تمثل أقوى وجه للثورة الفرنسية التي انفجرت منذ قرن.①

تعرفها الناقدة الفرنسية سوزان برنار بأنها «قطعة نثر موجزة بما فيه الكفاية، موحدة مضغوطة كقطعة من بلور... خلق حرا ليس له من ضرورة غير رغبة المؤلف في البناء خارجا عن كل تحديد»②

إذن قصيدة النثر عكس قصيدة التفعيلة ولدت على الورقة أي كتابيا وليس لها أصل شفوي كما هو حال قصيدة الشعر الموزون، وتبقى رغم ذلك نوع من الكتابة يجمع بين العناصر الغنائية المشتركة على الشعر التقليدي

---

*بودلير هو شارل بودلير (1821 - 1867) فرنسي الميلاد من أبرز كتاب وشعراء القرن 19 يعد من رموز الحداثة، كتب ما يعرف بقصيدة النثر في الشعر الفرنسي.

① - ينظر: أنسي الحاج، ديوان لن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ط 1 1982.

② سوزان برنار: قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا. تر زهير مخامس 1993 ص 75

مع العناصر الإصطلاحية للنشر مثل علامات الترقيم القياسية وعدم وجود فواصل للسطور.

أما إذا عدنا إلى الوطن العربي، فإن معرفة الشعراء لهذا الجنس-الشعر النثر- فتعود إلى عام 1960 فقد كتب أدونيس مقالة له بالعربية عنوانها "قصيدة النثر" نشرت في مجلة شعر اللبنانية العدد 14 ربيع عام 1960، فكان أول من سمى هذا النتاج الشعري بقصيدة النثر التي لها إيقاعها الخاص وموسيقاها الداخلية، التي "تعتمد على الألفاظ وتتابعها يعرفها أنسي الحاج* بقوله: «قصيدة النثر قصيدة حقا لا قطعة نثر فنية أو محملة بالشعر بشروط ثلاثة: الإيجاز والتوهج والمجانية» (1)

المهم أن قصيدة النثر هي نتاج حركة الحداثة الشعرية، التي شهدها العالم المعاصر، بدأت في أوربا وانتقلت إلى الوطن العربي حيث احتضنها مجموعة من الشعراء المهووسين مثل: أدونيس - أنسي الحاج، يوسف الخال، محمد الماغوط، محمود درويش، رغم أن هذا النوع الشعري مازال يشهد سجالا حول تصنيفها ضمن فنون النثر العربي المعروفة

12 خصائص قصيدة النثر: انسمت قصيدة النثر بمجموعة خصائص ميزتها عن بقية الأجناس الشعرية:

أ - الإبتعاد عن الوزن: إذ لا تلتزم قصيدة النثر بالأوزان التقليدية المعروفة وهذا ما جعل شعراء هذا النوع لا يعترفون بالوزن كشرط في بناء القصيدة يقول محمد الماغوط**:

عكازك الذي تتكئ عليه يوجع الإسفلت
و" الآن في الساعة الثالثة من هذا القرن
لم يعد ثمة ما يفصل جثث الموتى
عن أحذية المارة"

---

* أنسي الحاج شاعر لبناني معاصر (1937 - 2014) رائد من رواد قصيدة النثر مارس الصحافة وأسهم في تأسيس مجلة شعر، له العديد من الدواوين

(1) - أنسي الحاج: ديوان لن دار الجديدة بيروت 1994 ط 3 المقدمة

** محمد الماغوط (1930 - 2006) شاعر سوري كبير ورائد من رواد قصيدة النثر عاش في بيروت فترة طويلة خائفا ومنفيا اتسمت كتاباته بالسخرية

يا عنتي السمراء المشوهة
لقد ماتوا جميعا : أهلي وأحبابي
ماتوا على مداخل القرى
وأصابعهم مفروشة
كالشوك في الريح
لكني سأعود ذات ليلة
ومن غلاصمي
يفور دم النرجس والياسمين

ب. عدم الإلتزام بالقافية : الخاصية الأولى نتجت عنها خاصية ثانية فقد التجدت قصيدة النثر عن القافية الموحدة، كما هي العادة في الشعر التقليدي، لأن الفلسفة التي قامت عليها، فيها دعوة صريحة إلى تحطيم كل ما هو تقليدي لتقول أدونيس:

في عتمة الأشياء في سرها
أحب أن أبقى
أحب أن أستبطن الخلقا
أحب أن أشرد كالظن

ج. الوحدة الموضوعية والعضوية : بما أن قصيدة النثر تجربة إنسانية نابعة من عمق الإحساس الشاعري، في محاولة فهم ووعي كيانه وهو يصارع هذا القلق الوجودي، لذلك جاءت القصيدة النثرية متماسكة لا وجود لفجوات بين أجزائها وما تحدثه من تأثير في القارئ إنما هو ناتج عن شكلها الكامل لا عن جزء من أجزائها. ①

د. الحرية : بما أن القصيدة قد تحررت من القوالب الشعرية القديمة، فقد تحررت أيضا من أنماط التفكير الجاهزة والموروثة والتقليدية وما يدور حولها من أحكام وقواعد، كونها تعتمد على

---

① - ينظر: أحمد يزون : قصيدة النثر العربية ص 57

تفكير الشاعر لنفسه يقول محمد الماغوط:

سافر دون تردد أنقذ ما تبقى من سنين عمرك المهدور
سافر وستنسى شعوبا عبرنا
وتفهم معنى الإنسانية والحياة
ستعرف أننا لسنا أحسن شعوب العالم ولا أعرقهم
ستتعلم احترام غيرك لنيل احترامهم
وستخجل من تصرفات سيئة

هـ - البساطة: قصيدة النثر بسيطة في لغتها بسيطة في ألفاظها وتراكيبها تبتعد عن التكلف والمحسنات البديعية، لأنها همها البحث عن عمق الفكرة التي لا نتكلف فيها يقول محمود درويش:

أعدني إلى الأرض كي أستريح فإني أحبك حتى التعب
صباحك فالكرمة للأغاني وهذا المساء ذهب
ونحن لنا حين يدخل ظل إلى ظله في الرخام
وأشبه نفسي حين أعلق أعلق نفسي
على عنق لا تعانق غير الغمام
وأنت الهواء الذي ينثري أمامي كدمع العنب
وأني أحبك أنت بداية روحي وأنت الختام

الذي شكلتها شعرية هذه القصيدة تكمن في نسيجها اللغوي والشعري الأدوات الأسلوبية المتمثلة في تطويع القوانين النحوية والبلاغية لخدمة المعاني الشعرية.

و - الابتعاد عن الخطابة: وهو عنصر مكمل للسباطة، إذ نجد قصيدة النثر تبتعد عن أسلوب الخطاب المباشر البهلواني

ز - الإيجاز والتكثيف: على خلاف القصيدة القديمة، جاءت قصيدة النثر موجزة لكنها عميقة المعنى والدلالة، إذ تطرح كما هائلا وعميقا من الأفكار بأقل الألفاظ والتراكيب ①

هذه باختصار أهم خصائص قصيدة النثر، والتي اتفق عليها أغلب الدارسين، وتبقى جنسا شعريا يبحث عن موطأ قدم في هذا اللون الشعري الواسع.

---

① - ينظر: أحمد برون: قصيدة النثر العربية ص 60

3 - قصيدة النثر في ميزان النقد : إنّ رد الفعل الذي تشهده قصيدة التفعيلة عند ظهورها أول مرّة، بين مؤيد ومعارض ورافض قد حدث مع قصيدة النثر، خاصة وأنّ الذائقة الفنية للشعر العربي قد أصيبت في صميمها. لقد أظهرت الكتب النقدية ذلك الخلاف القائم حول هذا الجنس الشعري الذي يتجلى في أمرين :

أمر يتعلق بالمصطلح المستخدم "قصيدة النثر" أو "الشعر المنثور" أو "النثر الشعري"، وأمر آخر يتعلق برواد هذا الشكل الفني الذين يحاولون لفت أنظار النقاد والأدباء إليه

- لقد تحدثت نازك الملائكة في كتابها "قضايا الشعر المعاصر" عن قصيدة النثر وبينت أنها قد اعترضت على تسمية قصيدة النثر لأنه مصطلح غير دقيق، فالنص إما أن يكون شعراً أو أن يكون نثراً، لأنها وجدت أن هذا النوع من القصائد أدى إلى الخلط بينه وبين الشعر الحر تقول : « إنّ طائفة من أدباء لبنان يدعون اليوم إلى تسمية النثر شعراً وقد نشرت مجلة شعر هذه الدعوة، وأحدثت حولها ضجيجاً مستمراً لم تكن فيه مصلحة لا للأدب العربي ولا للغة العربية نفسها »(1)

- أما الناقد عالي شكري فقد تحدث عن التطورات التي أصابت الشعر الحديث من بداية العصر الحديث (البارودي) إلى قصيدة التفعيلة عند السياب ونازك الملائكة والبياتي وغيرهم وصولا إلى قصيدة النثر عند أدونيس ويوسف الخال وأنسي الحاج ويعلق على هذه التطورات في الشعر قائلاً : « والحق أنّ العشر سنوات التي مضت على التجربة الجديدة كانت قد أنضجت كبار شعرائها كما قلت حيث أنهم راحوا يطرقون في عنف أبواب الرؤيا الجديدة البعيدة عن توهم الاتجاه القومي والإتجاه الإشتراكي معا ... وكان لا بدّ من منبر جديد يحمي التجربة الجديدة في مرحلتها الحديثة، مرحلة الإنتقال من أعتاب الرؤية الفكرية إلى أبواب الرؤية الحديثة للشعر والعالم، وقد حاولت مجلة شعر أن تكون هذا المنبر الجديد »(2)

- كما يرى أدونيس رائد الحداثة في الوطن العربي، أنه بات من الضروري

---

(1) - نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر دار العلم للملايين بيروت (د ت) ص 44 .

(2) - عالي شكري : شعرنا الحديث إلى أين ؟ ط 3 القاهرة ص 49